ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

العدد (6053) السنة الثالثة والعشرون - الاثنين (22) كانون الأول 2025

www.almadasupplements.com

ذاكرة عراقية

هل كان الملك غازي يعلم بانقلاب بكر صدقي؟!

حول زواج الرصافي وابنته

رفعة عبد الرزاق محمد

لما للرصافي من مكانة كبيرة في اليقظة الفكرية العربية فأن البحث عن (حقيقة) الصورة التي زعم انها لابنة الشاعر الكبير من المواضيع الطريفة التي تتعلق بهذه الاشخصية الفذة، الذي اصبح البحث عن احواله وجمع شواردة من الضرورات الوطنية والتاريخية. «والذي نود تأكيده هنا ان جميع من كتب عن الرصافي من معاصريه لم يشر الى هذه (الابنة) المزعومة، مع اتفاقهم الثابت على زواجه في الاستانة على الوجه الذي تفصله السطور التالية..

واعتمد في بيان ذلك على مصادر رئيسة ثلاثة لا اعتقد ان احدا يستطيع الطعن في شهاداتها لما لهذه المصادر من صلة وثيقة بالرصافي ، فعندما ظهرت طبعة عام ١٩٣١ من ديوان الرصافي بدا المرحوم عبد المسيح وزير بنشر سلسلة مقالات عن الشاعر في جريدة (الاستقلال) البغدادية، تضمنت معلومات مختلفة عنه، استقاها وزير من الشاعر نفسه مباشرة، ونشرها في حياته.. مما يدل على ان الرصافي اذن بنشرها والمصدر الثاني هو ما كتبه المرحوم مصطفى علي في كتابه (ادب الرصافي) المطبوع في القاهرة عام ١٩٤٧ وهو مجموعة ردوده على بدوي طبانة الذي الف كتابا عن الرصافي واشار فيه الى زواجه، اما مصدري الثالث فهو ما ذكره الاستاذ الفاضل عبد الحميد الرشودي، في كتابه القيم عن الرصافي والمطبوع ببغداد عام ١٩٨٨ ولاحتاج الى اثبات صلة مصطفى علي بالرصافي فهي معروفة وان الرشودي حاليا، هو الامين المؤتمن على تركة الرصافي الفكرية لاسباب كثيرة لامجال لعرضها..«ان رواية زواج الرصافي.. المتفق عليها في هذه المصادر هي كما يلي: لما ذهب الرصافي الى الاستانة في المرة الثانية عام ١٩٠٩ ومكث فيها في الاعوام التالية، ارتفعت منزلته واصبح وجها بارزا فيها، بعد ان انتخب نائبا في (مجلس المبعوثان) عن المنتفك ، ففوتح من قبل اصدقائه بقضية الزواج فرحب بها واوكل الى شقيقة صديقه (عبيد الله) ان تختار له الزوجة اللائقة به وبمقامه، فاختارت له السيدة (بلقيس) ابنة احد موظفي الكمارك في العاصمة العثمانية ويذكر الرصافي لعبد المسيح وزير انه وجد الهناء في حياته الزوجية اذ استقامت اموره وانتظمت معيشته بفضل زواجه، غير انها حملت منه ولداً سقط جنيناً ولم تلد له غيرة فظل بلا عقب الى النهاية.

ويقول بدوي طبانة في كتابه عن الرصافي انه تزوج ثيبا من احدى نساء ازمير شقيقة ضابط متقاعد، دون ان يشير الى المصدر الذي اخذ عنه روايته. ويذكر الاستاذ عبد الحميد الرشودي ان مصطفى علي اخبره انه رأى عدة رسائل موجهة الى الرصافي من زوجه، وكانت موقعة بكلمة (بلقيسك) وان الرصافي كان يراسلها بوساطة اخيها الدكتور اكرم امين، وربما كان يرسل اليها بعض النقود وفاء لحق الزوجية. بقي الرصافي في الاستانة الى اواخر عام ١٩١٩ ، حيث غادرها الى دمشق وحده، على امل ان يعود لزوجه او يطلب التحاقها به.. يذكر ان زمان البغاد قد طال بينهما وامد الفراق قد امتد ومرت على الرصافي ايام صعبة ومارس ليالي كالحة فلم تسعفه ذات يده بما يقيم اوده ولا بما يمد به زوجته ، وفي عام ١٩٢٢ هم الرصافي بالسفر من بغداد الى الاستانة.. لكنه لم يجد هناك احدا من معارفه، فبقي في الاستانة حوالي الثلاثة اشهر ثم عاد الى بيروت، ويبدو ان نية الرصافي كانت متوجهة الى زيارة زوجه التي اشتاق اليها ، غير انه لم يوفق الى نيل اجازة من وزارة المعارف وهو احد موظفيها ،وليتسلف رواتبه ليستعين بها في سفره لان القوانين يومئذ حالت دون ان يتمتع بهذا الحق.. وفي قصيدته الى المرحوم فخر الدين الجميل يشير الى اشتياقه لزوجه في الاستانة قد عاقني الاملاق عن سفري الي من طال معتلجا اليه حنيني لكن قلبي مايزال بشوقه & ; قلبي اقام بدار قسطنطين ×وفي قصيدته (زحلة) يذكر الرصافي ان زوجه هي الاخرى كانت مشتاقة له، غير ان الرصافي عاد وترك الاستانة الى بيروت بعد ان استقل من وظيفته في بغداد و قطع الجسور مع السلطة لاقائه قصيدة (هي النفس) الشهيرة (!!) فرأت السيدة بلقيس;كما يذكر الرشودي & ; ان لا امل في عودة حياتهما ولا رجاء في استئناف الصلة فاستفادت من القانون المدني التركي الجديد واقترفت عن الرصافي.

واكاد اعتقد ان الرصافي ترك زوجه في الاستانة ثانية لسبب يتصل بنفسيته واعتزازه الشديد بكرامته، فحين غادر الاستانة كان مدركا ان يسير الى مصير غير معروف.. ترك بغداد على ألا لايعود اليها ثم ترك الاستانة وهو لايملك شيئا ولعله رأى بقاء زوجه بين اهلها صونا لها من تشرده، او انه اذن لها برفع قضية التفريق الذي تم في عام ١٩٢٥ وهو في بغداد (الاديب.. العدد الممتاز لعام ١٩٤٥). وربما يذهب البعض الى ان الابنة (المزعومة) في الصورة جاءت عقب اتصال الرصافي بزوجه عند زيارته الاستانة في ١٩٢٢ ، الا ان ما تواتر عن عدم انجاب السيدة بلقيس، ينفي ذلك ولعل نشر الصورة والتثبت من تاريخها يكشف لنا الحقيقة.. والله قادر على كل شيء.

100 عام على تأسيس محكمة التمييز العراقية

د. ابراهيم خليل العلاف

يمتلك العراق ، ومنذ أكثر من ١٠٠ سنة ، نظاما قضائيا قويا ، ورصينا ، بُني على أسس صحيحة وقويمة. وجميل جدا ان تمر الذكرى المئوية لتأسيس محكمة تمييز العراق ١٩٢٥-٢٠٢٥ ، والتي تولاها عبر كل هذه السنوات قضاة بارزون يشار إليهم بالبنان .

وأول ما يجب عليّ انا كاتب هذه السطور الدكتور إبراهيم خليل العلاف ان اقوله أنه لم يكن هناك في النظام القضائي المعمول به في العراق العثماني بولاياته الثلاث بغداد والموصل والبصرة ، محكمة للتمييز ، وانما تشكلت هذه المحكمة ، بعد قيام الدولة العراقية الحديثة سنة ١٩٢١ وتتويج الأمير فيصل بن الحسين ملكا على العراق في آب سنة ١٩٢١ .تشكلت في سنة ١٩٢٥ باسم (محكمة التمييز) كواحدة من تشكيلات وزارة العدلية وهي وزارة العدل اليوم .

والشيء الجميل ، ان محكمة التمييز في العراق ، تعد اقدم محكمة تمييز في الوطن العربي ومنطقة الشرق الأوسط ؛ فهي قد تأسست ٢٤ شباط –فبراير سنة ١٩٢٥ ،بعد صدور إرادة ملكية وقع عليها مؤسس الدولة العراقية ، وباني مجدها العظيم الملك فيصل الأول ملك العراق ١٩٢١-١٩٣٣ ، في حين تأسست محكمة التمييز المصرية سنة ١٩٣١ ، ومحكمة التمييز السورية تأسست سنة ١٩٧٣ ، ومحكمة التمييز السعودية تأسست سنة ١٩٧٥ ، ومحكمة التمييز الإيرانية تأسست سنة ١٩٧٩ .

وقد يكون من المناسب أيضا الإشارة الى ان اول رئيس لمحكمة التمييز العراقية كان خبيرا قضائيا بريطانيا اسمه (المستر جيل الكساندر) ، وقد تنقل في وظائفه ، ومناصبه الإدارية من العمل في محكمة البداءة الى العمل في محكمة الاستئناف ثم تولى (رئاسة محكمة التمييز في العراق) بين سنتي ١٩٢٥ الى ١٩٣٩ .

وقد وجدتُ في (الدليل الرسمي العراق للسنة ١٩٣٦) ، والذي أصدره الياهو دنكور ومحمود فهمي درويش ، وطبع في مطبعة دنكور ببغداد سنة ١٩٣٦ ؛ ان المستر جيل الكساندر كان سنة ١٩٣٦ رئيسا لمحكمة التمييز في العراق ، وان محكمة التمييز كانت من ضمن تشكيلات وزارة العدل .

ومن الجميل الإشارة الى ان من كانوا أعضاء في هذه المحكمة في بواكير تأسيسها عدد من جهابذة القضاء والقانون ، وهم الأستاذ داؤد سمرة وكان نائبا لرئيس المحكمة ، وهو عراقي يهودي معروف بمؤلفاته الشهيرة في مجال القانون . ويقول في مذكراته انه بقي نائبا لرئيس محكمة التمييز حتى الأول من تموز سنة ١٩٤٥ يعد ان مددت خدمته وقد قدم له وزير العدل الحاج محمد حسن كبة الشكر على " خدمته الطويلة التي اداها للحكومة بتضحية وإخلاص «

والأستاذ داؤد سمرة حاصل على وسام الرافدين من الدرجة الرابعة ومن النوع المدني منحه إياه الملك فيصل الأول تقديرا لخدماته في القضاء وفي التدريس بكلية الحقوق ببغداد.

اما الأعضاء فكانوا سنة ١٩٣٦ الأستاذ أنطوان شماس، وهو شخصية عراقية قانونية معروفة ، كان له دوره في صياغة وكتابة القانون المدني العراقي، والأستاذ حسن رضا ، والأستاذ الحاج صالح الباجه جي ، والأستاذ صديق مظهر ، والأستاذ عبد العزيز المطير . اما رئيس كتاب محكمة التمييز، فكان الأستاذ صالح عبد الله. وكل هؤلاء كانوا من رجالات القانون والمحاماة المعروفون

هنا اريد ان اقف عند الاستاذ حسن سامي عمر التتار ١٨٩٤ – ١٩٨١ فقد كان رئيسا لمحكمة التمييز وهومعروف بكونه حجة في القوانين وهو من اسرة التاتار البغدادية و اسمه مركب حسن سامي ومعنى التاتار في التركية موظف كبير في البريد العثماني وقد عرف من خلال عمله بالانضباط والطيبة والحزم والنظافة . في العهد العثماني تخرج في كلية الحقوق والتحق ضابط احتياط ووقع خلال الاحتلال البريطاني للعراق في الاسر في آذار ١٩١٧ وبعد سقوط بغداد بيد الانكليز في ١١-٣-١٩١٧ نفي الى الهند وعاد بعد الهدنة ١٩١٨ .تولى مناصب قضائية منها انه كان معاون قاضي محكمة الصلح ببغداد ١٩٢١ والمدعي العام وقاضي في محكمة الجزاء والمفتش العدلي ١٩٣٠ ومدير السجون ١٩٣١ونائب رئيس محكمة بداءة ديالى ١٩٣٢وقاضي جزاءبغداد ١٩٣٤ وعضو محكمة التمييز ١٩٣٧ ونائب لرئيسها ١٩٤٦ ووزير العدل من ٥ شباط ١٩٥٠، إلى غاية ٥ آب ١٩٥٠ونائب في مجلس النواب عن خانقين في شهر شباط ١٩٥١ .وفي ١٦ تموزسنة ١٩٥١ عين رئيسا لمحكمة التمييز وترك الوزارة والنيابة وظل رئيسا للمحكمة حتى آب سنة ١٩٥٨ أي بعد شهر من قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وسقوط النظام الملكي في العراق .

من الأمور الملفتة للنظر، وانا اكتب عن مئوية محكمة التمييز ١٩٢٥-٢٠٢٥ انه كان هناك أيضا عند تأسيس محكمة التمييز ، (مجلس التمييز الشرعي السني) برئاسة الشيخ الأستاذ امجد الزهاوي ، وعضوية الأستاذ محمد نافع المصرف والأستاذ عبد الرزاق الهاشمي ، و(مجلس التمييز الشرعي الجعفري) برئاسة الشيخ الأستاذ علي الشرقي وعضوية السيد محمد صادق الصدر والشيخ جعفر باقر علوش . وطبعا وظيفة هذه المجالس تدقيق الاحكام التي تصدرها المحاكم الشرعية، ومنها المحكمة الشرعية السنية ، والمحكمة الشرعية الجعفرية .ويجب ان نميز بين محكمة التمييز وبين هذه المجالس .

في (دليل الجمهورية العراقيةلسنة ١٩٦٠) وردت معلومات تتعلق بحكام أيقاضة محكمة التمييز وهمقضاة دائمون يجب ان لايقل عددهم عن تسعة وقضاة منتدبون لايزيد عددهم على ستة وهناكقضاة مقررون يقومون تحت اشراف الهيئة التي يعملون فيها بتلخيص وقائع الدعوى والحكم المميز والاسباب التي استند اليها بطلب التمييز وما اذا كان التمييز واقعا في مدده القانونية ام لا .وكانت محكمة التمييز سنة ١٩٦٠ تتألف من الرئيس محمود خالص ونائبيه عبد الهادي الظاهر ومحمد شفيق العاني ومن الاعضاءمحمود عزت عبد السلام ، حافظ خالد، كامل عبد الوهاب الخطيب ، نوري العمري ، عارف علي اصغر ،محمدفهمي الجراح ،عبد الحميد كبة ،محمدمحمود القشطيني، احمد جمال الدين ، محمد رشاد عارف ،حسين محي الدين ، وديع جورجي ،حيدر عبدالرزاق العالم ، .اما القضاة المقررون فهم علاء الدين الخياط ، صادق مهدي حيدر ،نوري محمدعلي الهاشمي ، عبد الوهاب حسين الدوري .

وكانت محكمة التمييز هي المرجع الاعلى للمحاكم المدنية وتنعقد في العاصمة بغداد ولايقل عدد قضاتها عن عشرة بضمنهم الرئيس ونائباه وتقسم هذه المحكمة الى هيئتين هما الهيئة الحقوقية والهيئة الجزائية وتنعقد كل منهما على عدد لايقل عن ثلاثة قضاة ويجوز تعددها عند الاقتضاء وتنعقد الهيئة الجزائية بخمسة قضاة في الدعاوى الجنائية التي عقوبتها الاعدام .

والشيء الذي يجب ان اشير اليه وهو، مهم ان (محكمة تمييز العراق) تصدر قراراتها ثم تجمعها في مجلدات ، ومنها مثلا المجلد الرابع الذي يتناول القرارات الصادرة بين سنتي ١٩٦٦و١٩٦٧، مطبعة الحكومة ببغداد سنة ١٩٧٠، وهذا طبعا يسهل للقضاة والمحامين أعمالهم، ومرافعاتهم، ودفوعهم القضائية .

ومحكمة التمييز اليوم هي محكمة واحدة في العاصمة بغداد تابعة لمجلس القضاء الأعلى) ، وهي المحكمة الوحيدة في العراق، والهيئة القضائية العليا التي تدقق القرارات الصادرة من المحاكم المدنية، ومحاكم الأحوال الشخصية (العائلة)، والمحاكم الجنائية، بالنسبة للجرائم التي تزيد عقوبتها على (٥) سنوات. وقراراتها تكتسب أهمية كبيرة لأنها صادرة من أعلى هيئة قضائية في البنيان التنظيمي للمؤسسة القضائية العراقية المعاصرة.

هل كان الملك غازي يعلم بانقلاب بكر صدقي ؟!

سيف الدين الدوري

تميزت فترة الحكومة الهاشمية الثانية ببروز الجيش على الساحة ودخوله المعترك السياسي وذلك نتيجة ما قام به من اعمال لقمع التمردات العشائرية وقبلها تمرد الاشوريين هذه الميزة التي اسفرت عن الانقلاب العسكري الذي قاده الفريق بكر صدقي واطاح بحكومة ياسين الهاشمي في ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦ وادى الى مقتل وزير الدفاع جعفر العسكري على يد اتباع صدقي. ومما ساعد الانقلاب الاشاعات التي ترددت عن نية الهاشمي ازاحة الملك غازي واعلان الجمهورية ووصلت تلك الاشاعات الى مسامع الملك غازي الذي تحدث مع صفوت العوا الذي شغل وظيفة ناظر الخزينة الملكية الخاصة واخبره بان ياسين يدبر مؤامرة ليكون رئيسا للجمهورية. لذلك قيل ان الملك غازي لم يعترض على انقلاب بكر صدقي ليتخلص من ياسين الهاشمي بل ان الملك غازي كان يخشى من فشل انقلاب بكر صدقي وعودة ياسين الى الوزارة مما يعني انتقامه من الملك الذي فكر في ان يتوجه بالطائرة الى الاردن في حال فشل الانقلاب اذ يقول حفظي عزيز طيار الملك الخاص انه كان قد استدعاه الملك قبل يوم من وقوع الانقلاب وبادره بالسؤال (هل الطائرة جاهزة وهل تستطيع ان تصل الى عمان دون الوقوف في الرطبة؟).

في هذا الوقت كانت حكومة ياسين الهاشمي مستعدة لمقاومة الانقلاب فكان وزير الداخلية رشيد عالي الكيلاني مقيما في الوزارة ويتصل بالمتصرفين ليستعينوا بالعشائر . بل ان احمد المناصفي سكرتير وزير الدفاع اتصل بالملك غازي واخبره ان القوات المسلحة مستعدة تحت امرة امين العمري للمقاومة وهي تنتظر اوامركم . فاجابه الملك (لا) سرح القوات لقد استقالت الوزارة. وانا ساحاول دون دخول بكر بغداد. الا ان بكر صدقي لم يسمح للملك غازي بالتدخل في شؤون الجيش بصورة تمس سلطاته او تشاركه في السيطرة على الضباط فعندما تدخل الملك لياخذ ذلك الاتجاه لم يتورع بكر بان يبين للملك بواسطة قائد القوة الجوية محمد علي جواد (انك ملك غير مسؤول بجب الا تتدخل فنحن طوع امر بكر صدقي فهو الذي يسير الامور). لقد اراد غازي ان يكون قائدا اعلى للجيش العراقي نظريا وواقعيا بينما كان بكر يهدف ان يجعل منه رمزا فقط.

لقد ترك انقلاب بكر صدقي في نفوس الكثيرين من اقطاب السياسة العراقية نقمة كبيرة تجاه الملك غازي ورجال الانقلاب بما فيهم جميل المدفعي الذي عاش من اقرب المقربين للملك فاخذ يرى بسبب اضطهاده من قبل حكومة الانقلاب وهربه الى سوريا ان من الانسب لمصلحة العراق ابعاد الملك غازي عن العرش وابداله بولده الصغير تحت نظام الوصايا او بالامير عبد الاله واثافق في ذلك مع ناجي السويدي وتوفيق السويدي اما رشيد عالي الكيلاني وناجي شوكت فقد اتفقا مع نوري السعيد على ضرورة التخلص من غازي بابعاده الى الخارج واحلال شخص مناسب مكانه فقد برز نوري السعيد اكثر حقدا على الملك ورجال الانقلاب ليس بسبب اضطهادهم له فقط بل وبسبب مقتل زوج شقيقته جعفر العسكري فقد خرج نوري من العراق ناقما على الملك غازي ومتهما اياه بالتواطؤ مع الانقلابيين حيث عاش نوري السعيد في القاهرة وضعا ماليا صعبا وسيئا اجبره على طلب مساعدة الامير عبد الله وحين اراد السفر الى الاردن اعترض الملك غازي على ذلك وفسر سفره بانه محاولة للتامر على العراق.

كان الملك غازي يعلم بما يبيته له نوري السعيد من غدر فقد كان خال الملك (الشريف علي بن ناصر) الذي ظل مقيما في القاهرة احد الذين يزودون الملك بتحركات نوري ضده وضد الحكم في العراق وبعد اغتيال بكر صدقي اكد الشريف علي بن ناصر على الملك في رسالة بعثها اليه في ١٥ آب ١٩٣٧ بان يحذر نوري السعيد كما انذره قائلا (دبر امرك بنفسك وكن دائما حذرا منه ومتنبها للحوادث) ولذلك ظهر على الملك عدم الارتياح بمجرد ان شاع في ايلول ١٩٣٨ خبر وصول نوري الى العراق.

حاول الملك غازي ايجاد تكتل ملكي خاص به لمناهضة التكتل المتحد حول طه الهاشمي فقرب حكمت سليمان الذي كان يثير الملك على نوري ويخبره بانه سوف يزيحه عن العرش وكذلك العناصر العسكرية المحسوبة على بكر صدقي كجواد حسين احد المشتركين في اغتيال جعفر العسكري وجعله طياره الخاص والعقيد علي رشيد رئيس المرافقين بواسطة مرافقه فؤاد عارف الذي كان ينقل حكمت بالسيارة الى قصر الزهور وقد علم جميل المدفعي بتلك الاتصالات فارسل الى فؤاد عارف واخبره بانه على علم بما يجري كما تناقش المدفعي مع السفير البريطاني واعرب عن قلقه من تقريب الملك لهؤلاء . السفير البريطاني من جانبه اكد انه اخذ يرى تحاشي الملك مقابلته .

تكتل الملك هذا دفع بكتلة الضباط القومية في الجيش الى ان تتوجس خيفة من ازدياد نفوذ خصومها فاتجهت الى الضغط على جميل المدفعي فطالبته بان يطهر الجيش والبلاط من العناصر (الفاسدة جماعة بكر) وان يبعد حكمت سليمان الى الخارج الا ان المدفعي لم يوافقهم فاخذوا يفكرو برسثم حيدر وصادق البصام وتحسين علي ومولود مخلص . وقد تضاعف قلق الكتلة القومية بعد ان اشيع ان الملك غازي بتحريض من حكمت سليمان ومن رئيس مرافقيه رشيد علي ضرب كتلتهم القومية خاصة بعد شاع خبر تبديل الفرقة الاولى فرقة امين العمري المرابطة في بغداد بالفرقة الثانية فرقة امين زكي الموجودة في كركوك واعتزام غازي احالة العمري الى التقاعد فحاولت التقريب بين الملك ونوري السعيد اولا واشراكه في الوزارة ثانيا وكذلك حاولت تقريب طه الهاشمي اليه كما قررت القيام بانقلابها في ٢٤ كانون الاول ١٩٣٨ حين حشدت قواتها في معسكر الهنيدي(معسكر الرشيد) وارسلت العقيد عزيز ياملكي للاتصال برئيس الوزراء المدفعي ومطالبته بالاستقالة الذي اعلنها فورا وقد ادرك الملك غازي ان هذه الحركة تعني اعادة نوري السعيد وطه الهاشمي وفرضهما عليه الا ان الكتلة القومية هددت بخلع الملك اذا لم يوافق على تكليف نوري السعيد بتشكيل الوزارة فذعن الملك غازي لامر وكلف السعيد بتشكيل الوزارة.

عن موقع (الكاردينيا) مجلة ثقافية عامة

امين المميز : أنا بغدادي .. وهذا بعض ما أدركته منها

إعداد : ذاكرة عراقية

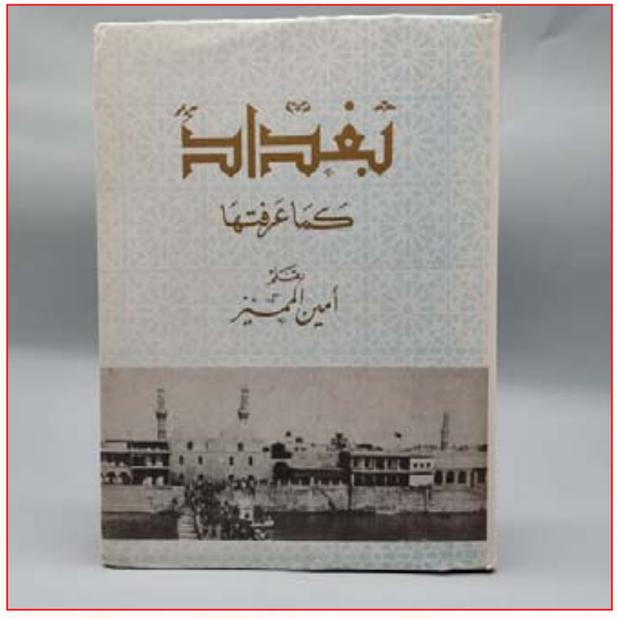

((أسمي محمد أمين ، والدي عبد الجبار بك بن إبراهيم أفندي المميز: أجدادي وأعمامي وأخوالي وأخواتي وأبنائي وأمي وجداتي وزوجتي في ، جدنا الأعلى الوالي أحمد باشا بن الوالي حسن باشا، وكانا قد حكما بغداد حكماً شبه مستقل عن السلطنة العثمانية قرابة نصف قرن وأحمد باشا هو والد عادلة خاتون صاحبة الخيرات والنفوذ ومشيدة الجامعين المشهورين باسمها وهما جامع عادلة خاتون الصغير الواقع في عكد الصخر (مدخل سوق الصفافير مقابل المتحف البغدادي) وقد خلدته بعد تهدمه ثلاث نخلات باسقات ما زالت قائمة أمام العمارة التي شيدتها أمانة العاصمة في شارع المأمون مقابل المتحف العراقي القديم ، وقد شيد بديلا عنه جامع في الصرافية بالاسم نفسه سنة 1962.

أنا بغدادي (أصلي) ، وكما يقول المثل الدارج (جر كراع ودك كراع) . وقال ولدت في بغداد سنة ١٩١٢ علما انه ورد خطأ في التسجيل بالوثائق الرسمية انه ولد في ١٩٠٩/٥/١٠. في محلة كانت تعرف في غابر الأزمان محلة الدنكجية والتي وصفها في كتابه (بغداد كما عرفتها) بأنها كانت (قطب الكون) وصارت تعرف بعدئذ بمحلة (جديد حسن باشا) نسبة إلى الوالي حسن باشا والد أحمد باشا وجد عادلة خاتون ، وقد سكناها أباً عن جد وكما يقول (خبناها) كابرا عن كابر لمئات السنين) ، ويذكرنشأت وترعرعت وسكنت ودرست فيها شطراً من عمري ولم أنفك عنها إلا حينما نقلنا سكنانا إلى الصرافية سنة ١٩٣٥ وقضيت بين الدنكجية والصقالاوية والفلوجية والرمادي من أعمال لواء الدليم (محافظة الأنبار حاليا) .

لم تكن عندي هوايات مفضلة في حياتي ، وكل هواياتي في صباي وشبابي كانت هوايات بسيطة عابرة ، كالتصوير والرسم وجمع الطوابع والنوادر والطيور والحيوانات الأليفة ومطالعة الصحف والمجلات والكتب وما إلى ذلك مما يستسيغه الشباب، وكنت بعيداً عن الرياضة والألعاب بكافة أنواعها ، ولم تتبلور هواياتي المفضلة ، وهي حب الأسفار ، إلا بعد انتسابي للسلك الخارجي فصرت أكتب كتاباً عن كل بلد أعمل فيه ، وقد "درت عكا ومكة وعكود اليهود" كما يقول المثل البغدادي ، لذلك الغرض ، فخرجت بثلاثة كتب عن البلاد الأجنبية ، فصدر كتابي الأول (الإنكليز كما عرفتهم) سنة ١٩٤٤ ولما أهديت هذا الكتاب إلى المرحوم حافظ عفيفي باشا مؤلف كتاب (الإنكليز في بلادهم) ثم زرته عندما كان محافظاً لبنك مصر ، قال لي بكل تواضع " لو كنت أعلم بأنك ستصدر كتابك هذا لما أصدرت كتابي " ، أما الكتاب الثاني فهو كتاب (أميركا كما رأيتها) فقد صدر عام ١٩٥٢ وحاز الجائزة الأولى للمجمع العلمي العراقي لتلك السنة ، عندما كان المرحوم السيد منير القاضي رئيساً للمجمع وذلك بتزكية وتوصية من عضو المجمع الأستاذ محمد بهجة الأثري ، أستاذي في اللغة العربية...

طبيعتي تميل إلى مراعاة التقاليد والتمسك بأهداب العقيدة الإسلامية وشعائر الدين الحنيف، وأني اجتماعي النزعة بالغريزة، أحب المعاشرة والمجالسة وتفقد الأصدقاء والأقرباء ، أمقت الأنانية والاستئثار وحب الذات ، أميل إلى التفاؤل في نظرتي إلى الأمور التي تجابهني في مسالك الحياة ، أجنح إلى المحافظة والاعتدال في التصرف. ..

أحب مجالسة الشيوخ والمعمرين ، وأسعد الساعات هي التي كنت أقضيها في مجالس معروف الرصافي ورؤوف الجادرجي ومحمود صبحي الدفتري وتحسين قدري وصالح صائب الجبوري ، وفخري البارودي في دمشق ، والشيخ محمد نصيف في جدة.

تعلقي بالتراث ، أو كما يسميه الشيخ جلال الحنفي (الفلكلور) تعلق أعمى لا يزعزعه كسب ولا مال ولا وعد ولا وعيد ، أفضل الطعام الشعبي واللباس الشعبي والغناء الشعبي وكل تقليد شعبي ، وأحب كل شيء قديم إلى حد الهيام ، لا شيء يغيظني ويخرجني عن طبيعتي الهادئة والمعتدلة مثل ما يغيظني أي تعد أو ظلم يقع على شخص أو على معتقدي أو على وطني ، فأبذل كل ما في وسعي لمحاربة ذلك الظلم والعدوان ، قدر استطاعتي وضمن حدود إمكانياتي ، متمثلا بقول أحد الحكماء القدماء " لقد أقسمت أمام محراب الله شن حرب أبدية على كل لون من ألوان الظلم على البشر ".

لازمت بغداد أيام طفولتي وصباي وشبابي وكهولتي وشيخوختي، وعشت فيها أيام بؤسها وشقائها وحرمانها، إني أحب الحياة لأني أحب أن أعمل شيئاً مذكوراً في هذه الحياة من أجل نفسي ومن أجل أبنائي وأحفادي ومن أجل وطني وأمتي).

ادركت بغداد يوم كان فيها جسر واحد فقط من (الدوّب الخشبية العائمة) واذا ماانقطع هذا الجسر وهربت الدوب الى (كرارة) او نزلت (حدّار) الى البصرة، انقطع الاتصال بين صوبي الكرخ والرصافة الى ان تعود (الدوب) من حيث هربت مصحوبة (بالمزيقة)، اما في بغداد ففيها الان اكثر من سبعة جسور حديدية ثابتة ومثلها عددا قيد التصميم والانشاء.

وكان الناس يستضيئون ويدرسون في ضوء الشمعة والقنديل والفانوس والادارة واللالة والانيزة، وعند وصول الكهرباء الى شارع الجسر يحصل احتفال به، وصار الطلاب يدرسون على ضياء مصابيح الشارع اما اليوم فقد وصل الكهرباء الى كل بيت من بيوتها كذلك الى القرية والريف والهور والبادية.

اما السقا في بغداد القديمة فقد كان يطوف (بكربته) يحملها على ظهره او على ظهر حماره ليزود بها البيوت بماء النهر، ويؤشر على الحائط بباكورته حساب الدروب التي اوصلها الى كل بيت اما اليوم فقد وصل الماء الصافي المعقم الى كل بيت من بيوتها وتعدّ قوائم الحساب بالحاسبة الالكترونية.

اما الشوارع فكان فيها شارع واحد مبلط او مرصوف باستثناء عكد الصخر (شارع الجسر) المرصوف بالصخر الجلمود الاسود، اما اليوم فقد بلطت الاف الكيلو مترات في شوارعها احدث تبليط.

وفي بغداد قديما كانت هناك سيارة واحدة فقط من نوع (فورد ام اللوكيه) وهي سيارة الوالي خليل باشا فتسير في الشارع الوحيد الصالح لسير السيارة وهو الشارع الجديد الذي فتحه الوالي لهذا الغرض..

ويومها كان (الكاري) الذي يعمل بين بغداد والكاظم اسرع واسطة نقل في بغداد يومئذ، اما اليوم فترى مئات الالاف من السيارات والحافلات ومن الانواع كافة .

كما لم يكن في بغداد سوى خستخانة المجيدية وخستخانة اليهودي (مستشفى مير الياس سابقا) وخستخانة الغرباء في الكرخ اما اليوم فقد قامت مدينة الطب بالاضافة الى تأسيس عشرات المستشفيات الاخرى.

كما لم يكن في بيت من بيوت بغداد القديمة تلفون او راديو او تلفاز فكانوا يسهرون مع القرقوز (خيال الظل) والفوتغراف الذي يعمل بالاسطوانات اللولبية والعاب المنقلة والدومنة والطاولي والاسقنبيل او يقصدون احدى المقاهي للاستماع الى القصخون اما اليوم فعشرات الالاف من ارقام التلفونات موزعة بين البيوت كما يشاهدون البرامج التلفازية عبر الاقمار الصناعية من جميع ارجاء العالم.

عن كتابه (بغداد كما عرفتها)

ولم يكن في بغداد في نهر دجلة غير البلام والكفف والمهيلات والجلاج اما اليوم فالبواخر السياحية المتألئة في شارع ابي نؤاس والاعظمية والموتورات والقوارب والبلام.

وايضا لم يكن في بغداد ساحة او حديقة ، والاطفال يلعبون بالازقة والدرابين وفي الخرابة المقابلة للقشلة والمجاورة لامانة العاصمة الحالية والتي ليست هي الآ مزبلة لرمي الانقاض والسيان وسقط المتاع او اللعب داخل البيوت اما الان فهناك ملعب الشعب وحديقة الزوراء ومدينة الالعاب.

"هانّا ذا" بغدادي من أعماق جذور بغداد ومن صميم مراحل تاريخها الغابر والمعاصر ، وسأمضي بقية أيام عمري فيها والأعمار بيد الله وأني لأوصي بأن ادفن في ثراها الطاهر إن شاء الله ذلك ، وهو القائل صدقت كلمتيه وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ.

من تاريخ مدينة الديوانية

نبيل عبد الأمير الربيعي

ذكرلونكريك في كتابه (أربعة قرون من تاريخ العراق) أن حاكم بغداد سار في سنة ٩٦٢هـ -١٥٥٤م إلى شهر زور ، ترك وراءه (سهيل بك) حاكم سنجق الرماحية قائمقاما في بغداد). مما يشير إلى أهمية المدينة ، وعلوّ منزلة حاكمها فهي ينوب عن حاكم بغداد في غيابه . وهناك أكثر من واحد من مشايخ الخزاعل حكموا هذا اللواء في أزمنة متفرقة.

وقد زار الرماحية الرحالة (نيبور) بعد تحول مجرى الفرات عنها بما يزيد عن نصف قرن ، وذكر أنها قبل أن يتحول عنها من أمهات المدن الفراتية وقال :« والرماحية مدينة مشيدة على نطاق واسع ، وهي مؤلفة من حوالي أربعمائة بيت ، ومحاطة بسور عال إلا أنه كسوّر البصرة والقرنة ؟ يتألف فقط من طابوق غير مفخور ، وهو بالإضافة إلى ذلك ضعيف والعناية به مهملة ، بحيث يستطيع المرء أن ينفذ من خلاله ، وهناك جامع مهم ، وحمام، وأغلب الدور مشيدة بالطابوق ويعتمد السكان على الزراعة ».

أما بلدة للوم فقد تم تمصير هذه المدينة خلال الفترة ١٥٠٠م حيث بناها السيد موسى بن إبراهيم الحسكي بن علي خان الجد الحادي عشر لأسرة السادة آل مكوطر الرضيوة ، والذي هاجر من الحجاز إلى العراق ، وقد برزت المدينة في القرن الثامن عشر الميلادي ، وامتدت إليها يد العمران بعد أن غير نهر الفرات مجراه القديم عام ١٦٨٨م ، الذي كان يمر بالرماحية إلى مجرى نهر نياب (نهر الديوانية الحالي) الذي تقع عليه بلدة للوم نفسها ، حين ذاك نزحت إليها أعداد من مدينتي الرماحية والحسكة للإفادة من ثرواتها الزراعية وكثرة خيراتها ، فضلاً عن أنها أصبحت فيما بعد مقراً للخزاعل في عهد الشيخ حمود بن حمد بن عباس (١١٦٠هـ-١١٩٢هـ/ ١٧٤٧م- ١٧٧٨م) وولده حمد آل حمود من سنة ١٧٧٨م-١٧٩٩م ، فازدهرت في عهدهما وارتادها مجموعة من رجال العلم والأدب أمثال حميد نصار الشيباني اللملومي ١٢٢٥هـ-١٨١٠م والشيخ مهدي الفتوني المتوفى ١٢١٧هـ-١٨٠٢م والشيخ حسن الملك وقبلهم الشيخ أحمد نصار الشيباني اللملومي والشيخ عبد الرسول العبساوي طبيب المدينة ، ونتيجة لذلك توسعت رقعتها الإدارية وشملت عددا من المدن في بعض الأحيان بينهما السماوة و الديوانية و الحسكة وبلدة مصاعة ناحية بني مالك ، الرماحية، الشوك، ناحية الفوار .. كما ساهمت للوم في التصدي للغارات الوهابية على العراق في معركة الأبيض (الرميثة حاليا).. وأخيرا هجرها زعماء الخزاعل سنة ١٨٢٧م) .

أما مدينة الحسكة فقد كانت قائمة سنة ١٥٠٠م ،يؤكد الباحث فيصل غازي المبالي إذ قال: «مما يعني إنها موجودة قبل هذا التاريخ بمدة لا نستطيع تحديدها ، وإن تمصيرها غير مؤكد وليس هناك من المصادر أو الوثائق ما يؤكد ذلك »، إذ سكنت أغلب المصادر عن ذكر هذه الناحية عدا ما جاء بكتاب لونكريك (أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) إذ قال : « أن الفرات يمر من العرجة والسماوة وللوم والحسكة»، والظاهر أنها كانت قرية خاملة الذكر ويعزى ذلك إلى أن هذه القرية لم يكن يمر بها مجرى نهر عام إلا أن فتح نهر نياب عام ١١٠٠هـ-١٦٨٨م ، قد ساعد على نموها فضلا عن ذكرها في رحلات وسياحات الأجانب لمنطقة الحسكة والديوانية بعد سنة ١٦٠٠م . وورد اسم الحسكة في النصوص العثمانية مستقلاً تارة ومرتبطا بواقع ومراكز إدارية تارة أخرى .

أن أقدم اشادة إلى الحسكة (وردت من السالنامة العثمانية في احداث عام ١١١٢هـ/١٧٠٠م ، وعنها نقلت مجلة (لغة العرب) لصاحبها الأب انستاس ماري الكرملي ذلك دون الاشارة إلى المصدر ، كان بصدد احداث هذا العام وطغيان نهر الفرات (السيل) الذي تستقي الحسكة من نهرين متفرعين منه هما نهرا (ابو صايف) في الشمال ونهر (اليوسفية) في الجنوب.فقد سيطر زعيم الخزاعل الشيخ سلمان بن عباس على مقاطعات الرماحية وخالد كبشة والحسكة وبني مالك ، كما غمرت الفيضانات منطقة الفرات الجنوبي وعزلتها عن المناطق الأخرى ، غير نهر الفرات مجراه القديم عام ١١١٣هـ-١٧٠١م الذي كان يمر بالرماحية والذي تقع عليه بلدة الحسكة نفسها ، وأصبحت موقعا إداريا وعشائريا كبيراً.

أما اسم مدينة الديوانية فقد ظهر منذ نهاية النصف الأول من القرن الثامن عشر للميلاد، ذكر المحامي حسين علي الحاج حسن :« أن اسم الديوانية ظل صيقا باسم الحسكة من كل العهود ، فمن الباحثين من يرى أن الديوانية هي ابنة الحسكة الشرعية التي نمت في رحمها وقامت على انقاضها ، وانها اسمان لموضع واحد تداولتها الألسن للدلالة على هذه البقعة الشريفة التي نسكنها اليوم ، ويبدو المؤرخ الحاج وداي العطية الحميداوي اول المنادين بهذا الرأي في كتابه ذي الاهمية عن تاريخ الديوانية، غير أن هذا الرأي يعارضه أن الأشارة التاريخية الأولى إلى الحسكة قد وردت مجردة من ذكر الديوانية ، وانها سابقة على الأشارات التي جاء فيها ذكر الديوانية بحوالي نصف قرن ،فأقدم اشارة إلى الحسكة في المصادر التاريخية التي وصلتنا تعود إلى عام ١١١٧هـ-١٧٠٥م، وهي ما أورده السويدي في كتابه (حديقة الزوراء في تاريخ الوزراء) ، ثم تلاحقت بعد ذلك الاشارات اليها ، أما أقدم اشارة إلى الديوانية فقد كانت تلك التي اوردها الرحالة ادوارد أيغز في رحلته إلى هذه الربوع التي نمت في عام ١٧٥٤م، حين وصف المدن والبلدات الواقعة على طريقه من البصرة إلى بغداد وكان من بينها السماوة والملوم والديوانية».

الديوانية هو المضيف أو القلعة التي أمر ببنائها على فرع نهر الحلة الشيخ (حمود آل حمد آل عباس) رئيس عشيرة الخزاعل عام ١١٦٠هـ - ١٧٤٧م، كان ذلك بسبب الصراع القائم بين قبيلتي الخزاعل بزعامة حمد آل حمود آل عباس والأكرع بزعامة محمد آل حمد آل كروش وابنه شبيب، إذ كانت الأكرع تقيم على الجانب الأيمن لنهر الفرات، وقد اضطرت إلى بناء قلعة لها في الشمال الغربي من المدينة،تم بناء المضيف من مادة الطين في الجانب الغربي من المدينة بواسطة الفلاحين لاستقبال الضيوف، وبالعُرف العشائري يطلق على هذا المكان الديوانية، لأن المضيف آنذاك لا يبنى من الآجر وإنما من القصب فقط ، وقد سميت تلك الدار بديوانية الخزاعل وبمرور الزمن غلبت عليها تسمية الديوانية.

وفي عام ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م عدّت البلدة مركزاً لقضاء تابع للواء (سنجق) الحلة ، وأخذ القائمقاميون يتوالون على إدارتها ، حتى سنة ١٣٠٠هـ، إذ تحول مركز اللواء إليها ، وصارت الحلة قضاء تابعاً لها ، واستمر الوضع على هذا النحو حتى نهاية العصر العثماني ، وكان يتبع قضاء الديوانية نواحي عدة منها : الدغارة، عفك، آل بدير، الفوار، الشافعية ، شوفة المليحة أي (السنبة) .

لكن عهد انحدار وانحطاط عشيرة خزاعة وعظمتها كان ذلك بعد القرن الثاني عشر الهجري كما ذكرها السيد الحسني، أي في عهد (كريدي آل درب) أحد زعماء خزاعة المتأخرين الذي دامت زعامته بعد وفاة أبيه في محرم عام ١٢٦٧ هـ لعدة سنوات ثم مات في محرم سنة ١٢٧٧هـ، كان أكثر خزاعة تسير تحت ركاب (وادي الشفلح) رئيس زبيدة كشبانة، تدفع لهم رواتب شهرية ما عدا (كريدي آل درب) وذويه في الشامية ، فإنهم كانوا في نزاع دائم مستمر مع وادي الشفلح في الشامية والأنحاء الأخرى، إلا في فترة قصيرة من أيام (مطلق آل كريدي).

وقد اشتهرت مدينة الديوانية في العهود السابقة بمصطلح الحسكه (الحسجة) أي بمعنى (كلام عراقي يعتمد التلميح دون التصريح)، وهذا الذي نراه مستندا إلى أقوال المؤلفين من عرب ومستشرقين).

أول من ذكر مدينة الديوانية الشيخ رسول الكركوكلي من مؤرخي عهد المماليك في العراق (١٧٤٩-١٨٣١م)، فقد أشار في حوادث عام ١٧٨١م حينما جهز والي بغداد المملوكي سليمان باشا الكبير (١٧٨٠-١٨٠٣م) حملة عسكرية ضد قبيلة الخزاعل، وعندما وصلت قواته العسكرية إلى المدينة عسكر فيها لأراحة جنوده، وقد ذكر الرحالة البريطاني ايفز : الديوانية، كانت في عام ١٧٥٨م عاصمة لحكومة الحسكة ، إذ يقيم فيها نائب للوالي مهمته الإشراف على جمع الضرائب في المنطقة الممتدة من الحلة حتى البصرة، فضلا عن مراقبته المشددة لمشيخة الخزاعل هناك.

عام ١٢٧٤هـ -١٨٥٧م تنفس أبناء الديوانية الصعداء بعد أن دبّ الأمن في جانبي نهر الفرات، بعد التشكيلات الحكومية الجديدة واصبح في المدينة شبه استقرار أمني، عند تعيين شبلي باشا قائمقاما للديوانية سنة ١٢٧٥ هـ -١٨٥٨م، فانتعشت النفوس للأمن السائد في ربوعها ، ثم انتعشت الحياة بأكثر من قبل عندما نقل مركز اللواء من الحلة إلى الديوانية سنة ١٣١٠هـ (١٨٩٣م)(٢٩)، وأعيد بناء القلاع والمنشآت الحكومية على الجانب الغربي من المدينة، حتى احتلال بغداد من قبل القوات البريطانية في ١١ آذار ١٩١٧، حيث عين الحاكم السياسي البريطاني في الديوانية في أيار ١٩١٧م..

عن (الحوار المتمدن)

في ذكرى رحيله

مصطفى جواد في رسائله إلى أنستاس ماري الكرملي

د. سعيد عدنان

قليل من بلغ مبلغ مصطفى جواد في سعة الإحاطة بالتاريخ العربيّ الإسلاميّ ، وباللغة العربيّة ، وقليل مثله من أبناء القرن العشرين من يقف مع جلّة القدماء في اللغة والتاريخ ؛ فلا ينبو به موقف ، ويجري معهم فلا تزلّ به قدم . ولد في مطلع القرن ، في سنة لا يستطيع أن يقطع بها ، وهو المحقّق المدقّق ؛ أهي سنة ١٩٠٤ ، أو سنة ١٩٠٦ ، أو ١٩٠٨ ، أو هي سنة غير تلك السنوات ، ممّا يدور حولها . ومهما يكن من أمر سنة الميلاد ؛ فقد ولد يقظ الذهن ، ذا حافظة تكاد لا تُفلت شيئاً ممّا تسمع أو تقرأ ، يحبّ المعرفة ، ويروم الاستزادة منها ، على الرغم من أنّ سنوات النشأة الأولى لم تجر بريح رُخاء ، وربّما تلبّثت به في غير شأنه ، ومالت به عن طريق طلب العلم . لكنّه سرعان ما يرجع إلى طريق المعرفة ، ويستوي عليه منصرفاً عمّا سواه . ويتخرّج في دار المعلمين الابتدائيّة ليعمل معلّماً ، وليمضي مع سجيّته في البحث ، والتنقيب ، والوقوف على الأصول ؛ ما كان مطبوعاً وما كان مخطوطاً ، غير متوانٍ في بلوغ النائي الخفيّ منها . ولقد كان من سبل المعرفة عنده مواصلة أعلام العصر ؛ بزيارتهم ، ومراسلتهم ، وتبيّن ما لديهم . فكان من ذلك أن مدّ الأواصر بينه وبين الأب أنستاس ماري الكرملي . كان الكرملي يومئذ علّامة جليل القدر ، لا يُشقّ له غبار ، قد أنشأ مكتبة كبيرة في دير الآباء الكرمليين ببغداد ، واتّخذ من الدير مثابة له ، يزاول منه كلّ شأنه ؛ يدرس ، ويتعبّد ، ويؤلّف ، ويعقد فيه مجلسه الأدبيّ ، ويحرّر مجلّته (لغة العرب) . وكان مصطفى جواد ، منذ أواخر العشرينيّات ، قد وجد سبيله إلى دير الكرمليين ، وإلى مكتبته ، وإلى مجلس الأب أنستاس ماري الكرملي ، وصار من أشدّ روّاده مواظبة ؛ يفيد من المكتبة ، مطبوعها ومخطوطها ، ويفيد من المجلس وأحاديثه ، ويحاور الآخرين ، ويردّ بعض ما يذهبون إليه فاتسعت معرفته ، وقويت حجّته ، وتكاملت ملكة النقد عنده . ثمّ أخذ ينشر أبحاثه في (لغة العرب) متقصيّاً الشوارد في التاريخ واللغة ؛ مستدركاً ومعقّباً على كبار الكتّاب يومئذ حتّى عُرف اسمه ، ولمع نجمه وهو لمّا يبلغ الثلاثين من عمره . وأراد سعة في العلم ، ورغب في تعلّم الفرنسيّة وإتقانها ، وبدت باريس في متناوله فاتّجه في سنة ١٩٣٣ إلى مصر ، وبقي فيها سنة ، أو ما يقرب من السنة ، يتعلّم مبادئ الفرنسيّة ، ويستمع إلى دروس في كليّة الآداب ، ويتّصل بأدباء مصر ، ثمّ يقصد باريس ، وينتظم في جامعة السوربون ، ولكنّه ليس كغيره من الطلبة ؛ فهو طالب في جانب ، وعالم يفيد منه المستشرقون في جانب آخر ؛ فلقد رسخت قدمه في التاريخ الإسلامي ، واللغة العربيّة ؛ هذين الميدانين اللذين ظلّا يتساوقان في حياته ، وبقي ، ما عاش ، مرجعاً ثبتاً فيهما .

وأتيحت له في باريس مكتبة أخرى كتلك التي كانت له في دير الكرمليين ، وأتيح له عالم كصاحبه الكرملي الذي كان في بغداد ؛ ذلك العالم هو المبرزا محمّد القزويني ، وتلك مكتبته . كان القزويني قد اتّخذ باريس دار إقامة قبل مجيء مصطفى جواد بسنين ، وقد وجد فيه المستشرقون نافذة يطلّون منها على الشرق وحضارته ، إذ كان حسن العلم بالعربيّة والفارسيّة مثلما كان حسن العلم بالفرنسيّة والإنكليزيّة .

لقد أفاد مصطفى جواد من المبرزا القزويني ومكتبته ، وانتسخ من مخطوطاتها شيئاً كثيراً ، واستكمل منها مالم يجده في غيرها .

ولمّا أراد أن يكتب أطروحته التمس لها موضوعاً من التاريخ العبّاسي قلّ من طرقه ؛ فكتب عن الخليفة الناصر لدين الله وسياسته ؛ وهو خليفة امتدّت خلافته زمناً طويلاً ، وكان حازماً حسن السياسة ؛ على الرغم من مجيئه في أخريات زمن الدولة العبّاسيّة .

أتمّ عمله قبيل أن تدهم العالم الحربُ الثانيةُ ، فلمّا وقعت عاد إلى بغداد بزاد موفور من اللغة والتاريخ وما يتّصل بهما ، وبلغة فرنسيّة أتقنها . ثمّ التحق بدار المعلمين العالية يدرّس اللغة ، ويكتب في ما يتّصل بها ، ويكتب في التاريخ ، ويحقّق الأمكنة ، والمواضع في بغداد العبّاسيّة ؛ وليس مثله من ملأ يده من خطط بغداد وقال فيها بعلم رصين وثيق ؛ إنّه عالم اللغة المؤرخ ، ومنزلته في التاريخ لا تقلّ عن منزلته في اللغة !

كان ، مع مزاولته البحث الرصين ، يقول الشعر في ساعة أنس ، أو ساعة ضيق ، ولكنّه شعر العلماء ؛ كالذي قاله رجال اللغة والنحو من قبل ؛ نصيبه من الشعر : استقامة الوزن ، وفصاحة اللفظ ، وصحّة المعنى ، أمّا توقّد العاطفة ، وجموح الخيال وابتكار المعنى فأشياء نصيبه ضئيل منها . وكان يكتب الرسائل لمن بينه وبينهم مودّة ، أو صلة ؛ يكتبها أحياناً على نحو من التفصيل . فلقد جرت مراسلات بينه وبين الكرملي منذ سنة ١٩٢٨ حتّى سنة ١٩٣٨ إذ راسله وهو في دلتاوة ، ثمّ وهو في القاهرة ، ثمّ وهو في باريس ؛ فلمّا رجع إلى بغداد عادت المجالسة تغني عن المراسلة . ورسائله هذه كلّها ثلاث وثلاثون رسالة نشرها الدكتور محمّد حسين الزبيدي في سنة ٢٠١١ .

كانت الرسالة الأولى قصيرة ، ثمّ أخذت الرسائل تطول إذ جعلت تنطوي ، زيادة على التحيّات وبثّ الأشواق ، على أمور تتّصل بأحواله حين هبط القاهرة ، ثمّ باريس ، وعلى عنوانات مقالات وبحوث كان قد كتبها ، وأرسلها إلى النشر في المجلّات ، وتنطوي أيضاً على ما جرى بينه وبين الأدباء الذين حاورهم ، أو قرأ كتبهم ، ونقدهم عليها . لقد كان مصطفى جواد رقيق الحاشية في مخاطبة الكرملي ، لكنّه حين يتحدّث عمّن اختلف معهم تغلظ كلماته وتقسو . وكلّ رسائله تنبئ عن وثوق بما لديه ، وتيقّن من صواب معرفته وسعتها . ولقد جاءت كلّها على شرط الفصاحة الرفيعة ، وربّما اقتربت بعض ألفاظها من الغرابة التي يحبّها مصطفى جواد ، ويأنس بها ؛ إذ يرى أنّ على الكتّاب أن يعيدوا الحياة لما أهمل من الألفاظ . وإنّ قارئ الرسائل ليجد فيها علماً غزيراً ، ورغبة صادقة في التحقّق والتثبّت ، وإنّه ليقرأ فيها صفحة أخرى من صفحات هذا العلّامة الجليل الذي ذهب من دون أن تتمّ الفائدة منه على ما ينبغي أن يكون . يقول الدكتور علي جواد الطاهر في الحفل التأبيني بعد مرور أربعين يوماً على وفاة مصطفى جواد : (أمّا مصطفى جواد فليس كنزاً بهذا المعنى المادي ، وبهذا المفهوم الضيّق ، إنّه كنز ضاع دون أن يستثمر ، وتبدد قبل أن يستنفد . لقد ذهب الرجل وذهب الكنز معه ، ولا يمكن في هذه الحال ردّ الفائت وتعويض الخسار).

فرقة الزبانية عام 1947.. ما لها وما عليها

سامي عبد الحميد

في ملحق صحيفة (المدى) الغراء ليوم الاثنين المصادف ٢٠١٥/٥/٤ نشرت مقالة موجزة عن فرقة الزبانية العراقية والتي تأسست عام ١٩٤٧ يوم لم تكن هناك فرق مسرحية رصينة خصوصاً بعد ان توقفت اعمال (الفرقة الشعبية للتمثيل) والتي اسسها عدد من المتخرجين في فرع التمثيل بمعهد الفنون الجميلة وبعد تقديمها العمل المسرحي الوحيد وهو (شهداء الوطنية) للفرنسي (فيكتوريان ساردو) ومن اخراج (ابراهيم جلال) و(عبد الجبار ولي). والغريب ان الكتب التي وثقت لحركة المسرح العراقي وخصوصاً ما نشره (احمد فياض المفرجي) لم تشر الى أعمال تلك الفرقة التي شكلها عدد من طلبة فرع التمثيل في معهد الفنون الجميلة وعدد من الهواة ومنهم (الحاج ناجي الرواي) و(فخري الزبيدي) و(حميد المحل) و(ناظم الغزالي) و(حامد الاطرقجي) و(محمود قطان). ولم يأت على ذكر تلك الفرقة واعمالها حتى الدكتور علي الزبيدي في كتابه المشهور (المسرحية العربية في العراق) واشار فقط الى مسرحيات كتبها الحاج ناجي الرواي وكان رئيساً للفرقة في زمن ممارستها تقديم اعمال مسرحية يغلب عليها الطابع الهزلي وتقدم باللهجة العامية.

ومن تكن المسرحيات (الدكتور جاكر جيان) و(عباس بين امرأتين) و(مسافر خانه مطرکعة) وربما قدمت الفرقة البعض منها. وفي ملحق (المدى) جاء ذكر لمسرحيتين من مسرحيات الفرقة هما (اصحاب العقول) و(فتح باب المقدس) ولم يذكر اسمي مؤلفيها، وقد اشرت في كتابي (المسرح العراقي في مائة عام) بشكل مقتضب الى فرقة الزبانية، ويرجع سبب ذلك عدم اهتمام النشريات والمصادر بانشطة تلك الفرقة لكونها لم تؤسس وفقاً لمواد قانون الفرق الفنية المعمول بها خلال الأربعينات والخمسيات في القرن الماضي، ولأنها لم تكن تقدم اعمالها المسرحية الهزلية ببرامج ممنهجة وعلى وفق خطة مدروسة وانما كانت تعتمد على المناسبات والحفلات الخاصة والتي كانت تقيمها احياناً في احد القصور الملكية. وبعكس ما ذكره الدكتور ابراهيم خليل العلاف في المقالة المنشورة في ملحق (المدى) فإن الفرقة لم تساهم في تنشيط الحركة المسرحية في العراق بسبب محدوديه نشاطها . وهنا لا بد ان اذكر ان الفرقة قد سافرت الى الاراضي الفلسطينية لتقدم مسرحياتها امام افراد الجيش العراقي الذين ذهبوا الى هناك بعد قرار التقسيم عام ١٩٤٨ وتلك كانت المبادرة المحمودة الوحيدة للفرقة.

وفي مرحلة ظهور فرقة الزبانية كان هناك عدد الجمعيات والفرق الفنية من الهواة تقدم بين الحين والآخر عروضاً مسرحية اما في قاعة الملك فيصل (الشعب حالياً) او على مسارح الملاهي العديدة التي كانت موجودة في بغداد حتى منتصف الستينات، ومن تلك الجمعيات نذكر (جمعية التمثيل والسينما) بقيادة (احمد حمدي) و(الجمعية الفنية للتمثيل والسينما) برئاسة (عباس العبيدي) و(جمعية النهضة الفنية) التي شكلها (صائب الجصاني ومحسوب العزاوي) وبعد ذلك (الفرقة الشعبية للتمثيل) التي لم تدم حياتها طويلاً.

لم تكن لدى (فرقة الزبانية) اهداف من اعمالها سوى اضحاك المتفرجين ولم يكن اعضاؤها يحملون رسالة يريدون توجيهها الى التمفرجين لا سيما انهم لم يكونوا يحملون فكراً بناءً يهدفون من ايصاله نشر الوعي الاجتماعي والسياسي والوطني كما كان حال الفرق المسرحية التي ظهرت في الخمسينات والستينات من القرن الماضي امثال (فرقة المسرح الفني الحديث) و(الفرقة الشعبية للتمثيل) بعد إحيائها و(فرقة مسرح اليوم) التي قادها الراحل (جعفر علي) وبعده الراحل (عوني كرومي) والتي كان لتلك الفرق الفضل الكبير والمتميز في تنشيط الحركة المسرحية في العراق قبل تأسيس فرقة الدولة (الفرقة القومية للتمثيل) رسمياً او اخر الستينات. واليوم ، والمسرح العراقي يفتقر الى اعمال تلك الفرق الناهضة بعد ان تعرضت الى التجميد لاسباب امنية من جهة ولأسباب مالية من جهة اخرى، نتمنى ان يأتي ذلك اليوم الذي يتم فيه احياء تلك الفرق وممارسة نشاطاتها من جديد لتغني المسرح العراقي بكل ما هو جديد ومبتكر والتزام بالمبادئ التقدمية الخيرة.

من أرشيف الراحل في جريدة المدى لسنة ٢٠١٠

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (6053) السنة الثالثة والعشرون - الاثنين (22) كانون الأول 2025

www.almadasupplements.com

رئيس التحرير التنفيذي: علي حسين

سكرتير التحرير: رفعة عبد الرزاق

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون